اللغة العربية بين العامية وتحديات العصر

أ. م. د. اسراء عريبي فدعم

المقدمة

اللغة العربية لغة ولدت متكاملة وهي ازلية البقاء لايمسها التغيير على الرغم من تعاور الزمن عليها وتبدل الاحداث فيها وتطور البيئة الاجتماعية والعلمية والسياسية فيها ولن تكتهل بحكم قدسيتها المستمدة من القرآن الكريم، فهي شامخة قائمة لا تستطيع أي يد دسيسة أن تشوه معالمها أو تئد قواعدها أو تقطع الألسن باستعمالها، مهما كانت حجج طلب تغييرها.

وقد تناقلت بعض الأقلام غير المنصفة المشهورة بحقدها على العربية لغة القرآن دعاوى مختلفة غرضها النيل من العربية الفصحى وتشويه معالمها، وكان الهدف الحقيقي من هذه الدعوات هو الاسلام وتقويض انتشاره، وقد عانت لغتنا الحبيبة قديما وحديثا من غزوات وهجمات عديدة لم تتوقف ولن تتوقف ما دام الحقد على الاسلام يخترم قلوب الاعداء،وفي عصرنا الحالي عصر الثورة المعلوماتي والعولمة تواجه لغتنا تحدي جديد يتمثل في التنازع على عالمية اللغة فغالب المنتجات والتعاملات المعلوماتي تكون باللغة الانكليزية لذا لابد من وقفة لعلمائنا الاجلاء في عصرنا الحالي من وضع خطة مكينة لنقل لغتنا العتيدة إلى مكانتها العالمية المطلوبة لأننا نجد كثير من الأفراد قد ضرب صفحا عن اللغة العربية واتقن اللغة الانجليزية وذلك لأنها حاملة الثورة المعلوماتية المتمثل بالانجازات الحضارية المعروفة من الانترنت والبرمجة اللغوية الحاسوبية، لذا كان لابد لنا من أن نكتب في موضوع قشيب يتمثل بالوقوف على أهم المخاطر التي تنال من لغتنا أو تحاول أن تحسرها لذا اقتضت طبيعة البحث أن يكون على مبحثين الأول تناولت فيه الدعوة للعامية وتاريخها واسبابها التي أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه اللغة العربية وتعبيرها عن الواقع ومواجهتها لتحديات العصر وأثر الثورة المعلوماتية على اللغة العربية مع ذكر أهم الدعوات التي لبست ثزبا جديد وهاجمت لغتنا العربية ثم عرجنا على الحلول التي نجد فيها درعا واقيا لحماية العربية ثم الخاتمة وثبت المصادر.

تعريف الفصيح والعامي

قبل الولوج في تاريخ الدعوة إلى العامية وتحديات العصر لها لابد لنا من وقفة قصيرة نتعرف معنى العامي والفصيح، فالعامية في المعجم الوسيط هي "لغة العامة وهي خلاف الفصحى". "والعامة" خلاف "الخاصة". والفصاحة هي "البيان" في المعاجم. واللفظ الفصيح "ما يدرك حسنه بالسمع". وإنسان فصيح "يحسن البيان ويميّز جيد الكلام من رديئه". وفصح الرجل "انطلق لسانه بكلام صحيح واضح"، والأعجمي "تكلم بالعربية فجادت لغته ولم يلحن". وألحن الرجل في كلامه: "أخطأ". ويمكن القول "الفصحى" هو أن يحرص المتكلم على صحة اللفظ ووضوحه، بينما تعاني "العامية" من تحريف اللفظ وغموضه

الفروق بين العامي والفصيح

هو تحريف النطق ببعض حروف اللغة، وتغييره كليًّا في بعض الأحيان وإهمال إعراب أواخر الكلمات، وتغيير حركات حروف الكلمة في العامية، وهذه الفوارق تؤدي إلى فارق آخر مهم. هو وحدانية الفصحى العربية بينما تتعدد العاميات العربية بتعدد أنحاء الوطن الكبير واختلاف اللهجات. وواضح أن هذه الفوارق تضع الفصحى في مكانة متميزة، وتجعلها "الأُنموذج" للسان الراقي الحريص على النطق الصحيح للحروف، وعلى الإعراب، وعلى سلامة الكلمة. والعامية في أي بلد ما تتفاوت في درجة قربها من الفصحى بين حي وآخر. ونلحظ أن هناك تشابهًا بين العاميات المختلفة في بلاد العرب في جوانب تحولها عن الفصحى صوتيًّا وصرفًا ونحوًا، وإن ذهب كل منها مذهبه ١

وقد واجهت لغتنا الحبيبة هجمة عنيفة لطمس معالمها دعا فيها المغرضون إلى تركها واعتماد العامية بدلها:

ويمكننا تقسيم هذه الدعوات على أقسام عدة،هي:

القسم الأول: يدعو إلى اتخاذ العامية لغة قومية محل الفصحى واتخاذ حروف غير عربية لرسمها.

القسم الثاني: يدعو إلى الحفاظ على الفصحى والإبقاء على رسمها، والتقريب بينها وبين العامية، وتطويرها وفق نموذج لغوي غربي.

القسم الثالث: يدعو إلى الحفاظ على الفصحى، والاعتداد بتغير معجمها والإبقاء على رسمها، والتحكم في هذا التغير وفق مخطط قومي.

ولكي نعرف ما معنى العامية لابد لنا من الوقوف على معنى الفصحى وما يراد بها فاللغة الفصيحة لها مستويات من الاستعمال تختلف باختلاف المواقف اللغوية وبحسب المتحدث بها فالشاعر لا يتحدث بلغة الناثر والناثر الأدبي لا يتحدث بلغة الناثر العلمي والكاتب الصحفي لا يتحدث بلغة الناثر الأدبي، واللغة تختلف باختلاف الشريحة الاجتماعية الموجهة لها الخطاب، فاختلاف المجتمع اللغوي يؤدي بالضرورة إلى اختلاف مستوى النص الفصيح، فالحديث إلى الأدباء يختلف عن حديثنا إلى المتعلمين ذوي الاختصاصات العلمية كذلك التحدث إلى الكبار يكون بلغة تختلف تماما عن لغة الأطفال والصغار.

ونلحظ أن اللغة تنقسم على ثلاثة أقسام:

١- اللغة الفصيحة وهي اللغة التي يتحدث بها فطاحلة اللغة وجهابذتها المتمكنين من زمام خطامها ٢

٢- اللغة الفصحى التي يكتب بها الناثرون من أهل العلوم الانسانية والعلمية والتي فيها يتحرى الكاتب الصحة اللغوية دون التأثير والبلاغة.

٣- اللغة العامية وهي اللهجة المحلية التي يتحدث بها أفراد الجماعة اللغوية في مختلف مواقف حياتهم المعاشية.

أسباب الدعوة إلى العامية

كان السبب الحقيقي وراء الدعوة إلى العامية هو هدم الدين الإسلامي وتقويضه ولملمة اطرافه والإحالة دون انتشاره،وهدم الدين لا يكون إلا بالقضاء على القرآن الكريم واللغة الفصحى هي أداته لذا كان تحويله إلى طلسم ضرورة ملحة للقضاء على القرآن الكريم لا سامح الله ___ والدعوة إلى العامية هي محاولة لإيقاف نمو اللغة العربية عن التوسع والحيلولة دون حركتها مع انتشار الإسلام خاصة في قلب أفريقيا وجنوب شرق آسيا، وفي المناطق الجديدة التي دخل الإسلام إليها.

ولا يشك عاقل في مدى التلازم الوثيق والارتباط المحكم بين اللغة والدين والأمة. وهذا ما أدركه العلماء في القديم والحديث، حيث ربطوا ربطاً محكماً بين اللغة العربية والإسلام.

ولقد أدرك أعداء الإسلام والعربية أهمية اللغة وخطرها على مطامع الاستعمار، وخطرها في وحدة الأمة وتماسكها وارتباط حاضرها بماضيها.

ولذا كانت الدعوة إلى العامية لتفتيت وحدة الأمة وتجزئتها وجعلنا دويلات متناحرة لأجل أن تستمر التبعية لهم، فشرعوا جاهدين إلى هذا المقصد.

وغاية تلك الدعوات هو تفريق المسلمين عامة والعرب خاصة، وذلك بتفريقهم في الدين واللغة والثقافة وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم.

وقطع ما بين المسلمين وبين قديمهم والحكم على كتابهم بالموت، لأن هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض. ٣(١)

ومن الأسباب التي تعللوا بها لدعوتهم إلى العامية، أن اللغة الفصحى لغة صعبة وأنها تقصر الأمة العربية عن التطور والتقدم الحضاري.

كذلك هجوم المستشرقين على الحرف العربي زاعمين أنه حرف معقد وهو عامل في حجب الفكر والأدب الحقيقي عن التطور.

وما تعللوا به هو أن اللغة الفصحى هي التي عاقت المصريين عن الاختراع، وأن اللغة العربية ماتت بسبب جمودها وصعوبتها ومن الذين دعوا إلى العامية ذهبوا إلى أن اللغة العربية الفصيحة فقيرة في المعاني الجديدة والمصطلحات العلمية وغناها بالمعاني والمسميات القديمة.(٢٤)

والحقيقة خلاف ذلك فالقرآن الكريم يعد المنبع الاساس في تعزيز اللغة العربية، وتوحيد اللهجات العربية المختلفة في إطار لغوي موحد، بحيث باتت هناك لغة واحدة هي لغة العرب جميعاً، و القران الكريم هو هو القاعدة الاساس التي حفظت اللغة العربية وحفظ التراث العربي الاسلامي وذلك لأن جميع المسلين بهم حاجة ماسة إلى تعلم اللغة العربية ومعاني الألفاظ الغريبة في القرآن والحديث والأحكام والسنن، إذ كانت الأحكام والسنن مبينة بلسان العرب، كما حافظ القران الكريم على اللغة العربية سليمة نقية، مستمرة مع الزمن، حافظ على كلماتها وتعابيرها

ومعانيها وتراكيبها ومفاهيمها، حافظ على لهجاتها وبلاغتها وعاطفتها وتأثيرها وسموها واستمرارها.

لقد هذب القرآن الكريم الأساليب والألفاظ، وذلك بكثرة ترديد المسلمين لآياته على ألسنتهم في الصلاة والعبادة، وطول درسهم له وتفهمهم إياه واستنباط أحكام دينهم وشريعتهم منه، فنشأ من ذلك أن هجر كثير من الألفاظ المعيبة، واستبدل بها الألفاظ العذبة السائغة، وعدل عن الأساليب القديمة المعقدة والمتداخلة، وان غنى اللغة العربية بالمفردات الحضارية يعود إلى عامل التفاعل بينها وبين الحضارات المجاورة لها، ولقد أدرك العرب ان المفردات العربية تتميز بدقة وعذوبة لم تتوفّرا معاً في مفردات البشر فمهما اتسعت معارف الإنسان ومهما كانت ثقافته فانه لا يستطيع ان يطوع مفردات اللغة لكل ما يتصوره من دقائق المعاني ولطائف الأخيلة، والمرء يجد المفردة القرآنية قد أدت المعنى المرسوم لها أو المراد منها دون أي نقص أو زيادة بحيث لا يمكن ان يحل محلها كلمة أخرى.

واستخدم معاني القران وألفاظه في العديد من الفنون الأدبية، فقد كثرت محاكاة الشعراء والكتاب والخطباء لعبارات القران في ألفاظه وأساليبه واقتباسهم من آياته فيما يقولون واستشهادهم بها في وعظهم ومحاوراتهم وجدلهم، ويرى المتتبع لشعر المخضرمين في أول الإسلام كحسان، وأبي قيس صرمة وكعب بن مالك والحارث بن عبد المطلب، ولشعر الإسلاميين كثيرا من ألفاظ القران وأساليبه وكنايته وتشبيهاته.

لقد مّن الله عز وجل على الأمة العربية بان اختارها لتحمل أخر رسالة سماوية رسالة خاتمة للرسالات وجامعة لها إلى يوم الدين، وجعل سبحانه كلامه الموجه للعالم كله والمعبر عن هذه الرسالة في كل زمان ومكان جعله باللغة العربية، فانزل القران الكريم على نبيه المصطفى P بهذه اللغة فشرفها بذلك وكرمها، وقد أرادت حكمة الله تعالى ان تكون العربية لغة كتابه ولسان وحيه، وان يكون ذلك الكتاب الكريم أخر كتبه وخاتمة رسالاته إلى عباده، فكان للعربية من ذلك صفة تفردت بها من بين اللغات الحيّة، فلم ترتبط لغُة حيّة من لغات العالم بكتاب الهي ارتباط اللغة العربية بالقران الكريم، ولم تحظ لغةٌ غيرها بصفة الإعجاز اللغوي.٥

واللغة نظام عرفي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض (٦)، وهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم (٧) وهي وسيلة التعبير تتطور ما تطورت أساليب الحياة وطرائق المعيشة(٨)، واللغة هي أعظم مقوم من مقومات الهوية وهي محملة بزخم عاطفي وعقلي وتاريخي، كما تعد اللغة لسان الجماعة ومرآة فكرها ومنجم عطائها. وقد عدها البعض كائناً حياً ينمو ويتسع لمسايرة الفكر والحضارة (٩)، وقد حافظت اللغة العربية على أصالتها منذ البدء، لأنها كما قال ابن خلدون كانت (بعيدة عن بلاد العجم من جميع جهاتها) (١٠)، كما أن ارتباط اللغة العربية بالقرآن أدى لانتشار اللغة بانتشار الإسلام (١١)، فقد كان الإسلام عاملاً لنقل اللغة العربية تلك النقلة الواسعة من لغة قوم إلى لغة أقوام، ومن لغة محدودة بحدود أصحابها إلى لغة دعوة جاءت إلى البشر كافة، فكانت العربية بذلك لسان تلك الدعوة ولغة تلك الرسالة، ومستودع ما نتج عن تلك الرسالة من فكر وحضارة (١٢).

تاريخ الدعوة إلى العامية

بدأت الدعوة إلى العامية منذ احتلال الاستعمار وقد ظهرت في مصر حين درس المستشرقون الأوربيون العامية،ومن خلال دراستهم لها اطلقوا دعوة اعتماد العامية بدل الفصحى،وقد تنازعت هذه الدعوة الأقلام بين مؤيد ومعارض ومحايد، ويمكننا أن نتتبع أوائل من دعا إلى العامية وهم:

١- ولهلم سبيتا ويعد من أوائل من دعا إلى العامية من خلال كتابه (قواعد اللغة العامية في مصر) وبدأ دعوته بين ١٨١٨ – ١٨٨٣م وقد دعا إلى اتخاذ العامية لغة للحوار والأدب ودعا العلماء إلى إنشاء هيئة لإتمام عمله في ضبط العامية لتصبح صالحة للاستعمال ١٣،ثم أيدت مجلة المقتطف المصرية الدعوة وساندت الداعي بحجة أن العربية قاصرة عن مواجهة تحديات العصر الجديد.

٢- ولكوكس مهندس الري الانجليزي دعا إلى استخدام العامية وجعل العربية العلة الحقيقية في تخلف مصر وفقدهم لقوة الاختراع.

٤- القاضي سلدن ولمور وقد دعا إلى العامية في كتابه (العربية المحكية في مصر) عا١٩٠١ م وقال باستخدام اللهجة العامية كأداة للحديث والكتابة واستخدام الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية، ودعا إلى ضبط قواعدها، والبدء باستخدامها

في الصحف والمجلات واستخدام العامية في التعليم.

٥- اسكندر المعلوف ساند دعوة ولمور وعد اللغة سببا في التخلف وبلبلة الفكر وانفصام المتحدث عن الواقع اللغوي.

٦- الإنجليزي باول)) عام١٩٢٦م الذي اشترك مع زميله فيليوت)) أستاذ اللغات الشرقية بجامعة (كمبردج) في وضع كتاب باللغة الإنجليزية أسمياه (المقتضب في عربية مصر) وهو يتناول الدعوة إلى اتخاذ العامية بدلا من الفصحى. وقد حاولا في كتابهما أن يضعا قواعد لتسهيل تعليم اللغة العامية.. ولم ينسيا أن يذكرا بألم وحرقة ما تعانيه اللغة العربية من صعوبة.

٧- المستشرق الفرنسي" لويس ماسينون" دعا إلى العامية خلال محاضرته التي ألقاها في جمع من الشباب العربي في باريس عام ١٩٢٩م، ومما جاء في محاضرته: أنه لا حياة للغة العربية إلا إن كتبت بحروف لاتينية، وقد تحمس لهذه الفكرة وتبناها عبد العزيز فهمي، فدعا إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، وطرح فكرته هذه في الجلسة التي عقدها مجمع اللغة العربية في ٣ مايو سنة ١٩٤٣م.

٨- سلامة موسى كان من اشد المؤيدين ل ولكوكس.

٩- قاسم أمين الذي عاب على العربية وأشاد باللغة الاوربيا فدعا إلى الغاء الأعراب.

١٠- أحمد لطفي السيد.

١١- روج لهذه الدعوة المعجب بالغرب وإمام أول بعثة علمية إلى بلاد الغرب: رفاعة رافع الطهطاوي، الذي قال في كتابه "أنوار توفيق الجليل من أخبار توثيق بني إسماعيل" الذي صدر عام ١٨٦٨م: "إن اللغة المتداولة المسماة باللغة الدارجة، التي يقع بها التفاهم في المعاملات السائرة لا مانع من أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ.. وتصنف فيها كتب المنافع العمومية والمصالح البلدية"

١٢- يعقوب صروف يدعو إلى نبذ الفصحى واتخاذ العامية لغة كتابة العلومة

١٣- ولم يكن هذا الوباء في مصر وحدها فهذا اسكندر معلوف اللبناني أنفق وقته في ضبط أحوال العامية وتقييد شواردها لاستخدامها في كتابه العلوم؛ لأنه وجد أسباب التخلص في التمسك بالفصحى(٩). ونحا ابنه عيسى نحوه إذ يقول (١٠): إن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو أهم أسباب تخلفنا.. رغم أنه من الممكن اتخاذ أي لهجة عامية لغة للكتابة؛ لأنها ستكون أسهل على المتكلمين بالعربية كافة. ولي أمل بأن أرى الجرائد العربية وقد غيرت لغتها، وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح وهو غاية أملي.

١٤- أما محمود تيمور فيقول: العامية أقدم من الفصحى عهداً وأعرق منها إلى العربية نسباً، وفي مقدورنا لو أتيحت لنا كتابة العامية أن نقول بأننا نكتب العربية ولا مراء. فذهب يتلمس الشواذ في قواعد العربية ليلبسها العامية ويقرب بين العامية والفصحى بسوء نية.

١٥- جميل صادق الزهاوي قائل فتشت طويلاً عن أسباب انحطاط المسلمين فلم أجد غير سببين أولهما: الحجاب الذي عددت في مقالي الأول مضاره.. والثاني: هو كون المسلمين ولاسيما العرب منهم يكتبون بلغة غير التي يحكونها.

لا يمكن اعتماد العامية وذلك

١- هدم بناء التصانيف العربية القديمة

٢- تعدد اللهجات وتباينها

٣- اللغة العربية مستوفية لقواعدها

٤- العيب ليس في اللغة بل في مستعمليها

٥- اللغة العربية واسعة الاتجاهات مترامية الاطراف لها مفردات كثيرة تفتح الطرق أمام المتحدث ليسلك أنى شاء.

٦- جميع العوام بمختلف مستويات تعليمهم يفهمون اللغة العربية حتى الأميين منهم.

المبحث الثاني
اللغة العربية وتعبيرها عن الواقع ومواجهتها لتحديات العصر

لقد اتخذ الداعون صعوبة اللغة العربية وعدم قدرتها لتلبية حاجات العصر ذريعة لاعتماد العامية بدل العربية الفصحى، والحق أن دعوتهم تحركها أغراض مريضة محمومة بالحقد على الدين الإسلامي فيتحركون الدعاة على وفق أغراض خفية ويسلكون سبل متنوعة خبيثة للقضاء على العربية، والعربية في حقيقتها هي لغة كغيرها من اللغات، واللغة

كما قال سومارفليت: ظاهرة اجتماعية، وإن البنية اللغوية يمكن أن تبقى على حالها من غير تغيير بالرغم من التغيرات الثورية التي يمكن أن تحدث في الأنماط الثقافية والاجتماعية، كما يقرر سابير في سياق آخر أن العالم الحقيقي للفرد يتحدد بتلك العادات اللغوية المختلفة بالضرورة عن أخرى في أنظمة اجتماعية مختلفة لغويا عن نظامه الخاص،وفي هذا السياق يستوقفنا رأي وورف الأمريكي الذي يقرر أن اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار بل هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار،ولعل هذه الفكرة هي نفسها التي عبر عنها جوزيف فندريس بقوله:إن الكلام يفتح العالم المغلق في حياتنا الداخلية، ويسمح لنا بالخروج عنه؛إنه مبدع وصانع الحياة الاجتماعية١٤، واللغة نفسها هي المرشد إلى الواقع الاجتماعي، إنها تؤطر بالقوة تفكيرنا جميعا١٥، كما تشير مجموعة الآراء اللسانية المنسوبة للتيار الوظيفي في اللسانيات الحديثة إلى عمق الصلة بين اللغة والسياق الثقافي والاجتماعية إذ لا يمكن أن تحلل الظواهر اللغوية نفسها بمعزل عن العامل الاجتماعي، كما لا يمكن التكهن بالأدوار اللغوية للعبارات والملفوظات في التخاطب اليومي بالاكتفاء بالوصف البنيوي الشكلي أو التوزيعي، لقد ذهب ماشيوس رائد حلقة براغ اللسانية إلى أن جذور اللغة تمتد إلى البنى الاجتماعية بكافة أشكالها من ذلك مثلا أساليب الحديث المختلف والتي تشير في اختلافها بتنوع المستوى الاجتماعي والثقافي والفكري والأيديولوجي للمتحدثين، كما أن اللغة تهدف بالأساس إلى نقل المشاعر والرغبات الخاصة التي تغلف العبارات المنطوقة بحكم الانتماء إلى البيئة المائجة بشتى المعطيات الثقافية والدينية والفلسفية١٦ ،فمن إفرازات البيئة الاجتماعية العربية-مثلا-قول العربي واصفا حالة الانبساط النفسي الناتجة عن الطمأنينة: هذا حدث أثلج الصدور، بينما يواجه الفرنسي الحالة النفسية نفسها بتعبير مغاير تماما.وعلى صعيد البحث الأنثروبولوجي يشير مالينوفسكي العالم البولندي الذي كان له التأثير الكبير في نظرية فيرث السياقية في كتابه الشهير الحدائق الساحلية وسحرها (Coral gardens and their magic) أنه من الصعوبة بمكان ترجمة ما يتعلق بالعادات والتقاليد من مفاهيم وتصورات خاصة إلى لغة أخرى، فهي أنساق تند عن التعبير اللغوي لخصوصيتها المطلقة ١٧ ،كما نجد تأكيدا على تمازج البنية اللغوية والمكون الثقافي عند مؤسس النحو النظامي(systemic grammar) مايكل هاليدي وخلاصة رأيه:أن الاختيارات اللسانية المتاحة في نظام لغوي ما هي التي يعول عليها المتكلمون للتعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم المرتهنة بالثقافة الاجتماعية السائدة ١٨. لذا من الاجحاف الاعتماد على العامية للتعبير عن الانماط الاجتماعية المختلفة فالعامية قاصرة تماما عن الادلاء بما في مكنونات النفس كما أنها العامية لا تحوي أي نمط ابداعي أو بلاغي.

اللغة العربية وما تواجه في العصر الحاضر من تحديات ودعوات

إن الحديث عن اللغة العربية العالمية يسير في سياق معايشتها للغات أجنبية تنافسها في العطاء الحضاري بوجهيه الثقافي والتكنولوجي، وهذا يتطلب منها احتواء لكثير من الأنساق الصوتية والتركيبية ضمانا لتحقق التكيّف البنيوي والمعرفي في وسط راهن متعدد الثقافات تؤطره فلسفة العولمة١٩ التي تقضي في مسارها الحتمي باستيعاب كل الأنساق غير القادرة على الإسهام في الحراك الحضاري العالمي،والقرن الحالي يواجه تراكما لمنجزات معلوماتية كبيرة نجد أن هناك دعوة منها:

أ- إيجاد لغة قريبة من العامية

وهذا ما نجده عند بعض اللغويين المصريين مثل شريف الشوباشي الذي اطلق دعوته من خلال كتابه يسقط سيبويه

فبخط أبيض باهت صغير كُتب نصف عنوان الكتاب (لتحيا اللغة العربية) وبخط أصفر مريض كبير جاء النصف الآخر (يسقط سيبويه)، للمُيسر المعسر غير المختص باللغة العربية شريف الشوباشي،الذي اطلق العنان لقلمه ليتيه في بسابس أوهامه التي تطالبه بلغة تقريبية تقع بين الفصحى والعامية.

والحق أن التيسير ضرورة ملحة تنبه عليها القدماء والمحدثون،ولو تصفح الشوباشي الكتب القديمة لعرف هذه الحقيقة فهذا ابن جني مع اشتهاره بكتب لا يطالعها في الغالب إلا المختص لعسرها على غير المختصين نجد عنده عددا من الكتب التي هي اقرب إلى المنهج التعليمي بل أقول هي أسهل من المنهج التعليمي الموجود في مدارسنا الآن نحو كتاب اللمع في العربية.أما ابن مضاء فغني عن أن نعرف بثورته على النحاة.

والمحدثون المنصفون في التيسير

كثيرون ولمن يود التعرف على جهودهم ننصحه بقراءة كتاب (في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث) للدكتور نعمة رحيم العزاوي الذي يعد بحق نافذة نقدية موضوعية يطل عليها القاريء دون أن تشتته بلابل الغايات الخفيه.

فمن يدعو إلى التيسير لا يكون بالضرورة خادما للعربية ولكي لا نطيل نعود إلى كتاب(يسقط سيبويه) الذي فيه انطلق صاحبه من حيثيات واهنة كاذبة هشة مريضة أحيانا،ومن يُقيم بنيانه على أساس هش أو على جرف هار ينهار به لا محالة ولنذكر هنا بعض حيثيات الشوباشي:

١-الشوباشي يترجم المشاعر الدفينة في نفوس ملايين العرب عندما يهتف قائلا يسقط سيبويه.

٢-أن اللغة المسيطرة على العالم هي الانجليزية الأمريكية،وإن تضاءل عدد الناطقين بها لحساب لغات أخرى من بينها العربية لكن المهم أنها(الانجليزية) لغة الرجال والنساء في العالم من السياسيين والدبلوماسيين ورجال المال والعلوم.

٣-اللغة العربية عجوز محنط بحاجة إلى عمليات عاجلة للعودة إلى الصبا.

٤-الكل يخطأ في العربية حتى كبار اللغويين،ولا يوجد مثقف واحد في فرنسا أو انجلترا أو اسبانيا أو حتى البرازيل يخطأ في لغته الأم.

٥-الشوباشي من الذين يرون أن الشعر العربي القديم يفوق في رقته وجماله ما أبدعه فطاحل الأدب الغربي،لكنه رأي شخصي،والأرجح عند أنه غير موضوعي لأن ثقافته الأولى التي نشأ عليها عربية.

٦-فكرة قدسية اللغة وارتقاء الناطقين بالعربية فوق مستوى باقي البشر هي فكرة تتناقض مع جوهر الاسلام ومضمون الرسالة المحمدية.أي لا قدسية للعربية.

٧-إيمان العرب أن العربية للمسلمين وليس للمسيح أو لغيرهم فضل.

٨-أن النطق بلغة سليمة يدل على أن المتكلم غير عادي،خارق للقاعدة فالنطق الخطأ هو القاعدة،ومن لا يخطأ الاستثناء.

٩-الفصام اللغوي (شيزوفرينيا لغوية) والمقصود بها التحدث باللهجة المحلية في التعاملات اليومية الحياتية،واستخدام اللغة العربية الفصحى في التعاملات الرسمية.

أما مآخذ الشوباشي على العربية فهي:

عسر قواعد اللغة التي يستحيل الإحاطة بها،والعربي يهتم باللفظ دون الاهتمام بالمعنى بدليل مقولة أن العربي يهتم بالكلمات أكثر من أهتمامه بالمعاني وبالمعاني أكثر من الأفعال.

المبالغة التي هي سمة الانسان العربي والتي ينعكس بشكل جلي في سلوكه اللغوي فالبلاغة مشتقة من المبالغ التي تعد من أنفس المزايا عند العرب فاللغة العربية تسوق المتحدث أو الكاتب إلى أن يضخم المعنى ويسعى إلى التفخيم.نحو التفخيم الذي يثير الضحك في بيت عمرو بن كلثوم

ملأنا البر حتى ضاق عنا
ونحن البحر نملؤه سفينا

والمبالغة ليست في الشعر عنده فحسب بل بالتصريحات النارية للسياسيين الذين لا يقصدون المعنى الحقيقي بل هي مبالغة شبوا عليها وساقتهم إليها اللغة العربية فهي تسوق المتكلم وتدفعه دفعا إلى تضخيم المعنى وتفخيمه حتى يؤثر على السامع ولعل اشهر هذه التصريحات تصريح أحد القادة الفلسطينيين قبل نكسة ١٩٦٧ قال أنهم سيلقي إسرائيل في البحر وقد أضر هذا التصريح بالقضية الفلسطينية ولم يدرك العالم أنه مجرد نتاج لثقافة المبالغة والتهويل،ويقول الشوباشي وكان الرئيس السابق صدام حسين وريث هذا الاسلوب الذي قال أنه في حالة الاعتداء على العراق سيحرق نصف إسرائيل وهذا التصريح نتاج إرث تأثر بتركيبة اللغة العربية التي ديدنها المبالغة،بدليل أن الحرق لم يكن.

كذا عدم تمثيل اللغة للواقع الحقيقي وعد الاسلوب المباشر ضعفا وركاكة في اللغة مع الاستهانة بالزمن فهو رفاهية لا لزوم له بدليل أن العربي يستعمل الفعل الماضي بدل المضارع والمضارع بدل الماضي نحو أكلت الآن.

ومن صعوبات اللغة أيضا وجود حروف العلة، والإعراب،ووجود لفظة واحدة تشكل جملة كاملة،كذلك الشكل (الحركات)،والترادف.

ومن حلول الكاتب ولا نقول الميسر:

أولا: توحيد الأرقام فلا تأنيث فنقول مثلا تسع رجال وتسع نساء.

ثانيا:إلغاء المعاني الدقيقة نحو المعاني المتولدة من الفروق بين الفعل واسم الفاعل.

ثالثا:الغاء ما يسمى عنده بالمثنى.

رابعا:الغاء جمع المؤنث فالجمع في كل لغات

العالم لا يخص جنس دون آخر.

خامسا:تقليل عدد المترادفات.

سادسا:معالجة ما يسمى بالاشتقاق فالانكليزية التي هي الدليل الأعلى للشوباشي لا اشتقاق بها.

سادسا:اتفاق المجامع العربية على وضع قواعد تيسيرية تسهل اللغة بتقريبها من النطق اللغوي ل(اللهجات).

هذا أهم ما تناوله الشوباشي في كتابه الذي يفصح عنوانه عن غرض تجاري؛ لأن من يريد أن ييسر لا يسل قلمه على عالم جليل ساهم بشكل فاعل في الحفاظ على العربية جاء في معجم البلدان قول صاعدة بن أحمد يقول لا أعرف كتابا ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها اشتمل على جميع ذلك وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب:أحدهما المجسطي لبطليموس في علم الهيئة الأفلاك والثاني كتاب أرسطو طاليس في علم المنطق والثالث كتاب سيبويه فان كل واحد من هذه الكتب لم يشذ عنه أصول فنه شيء إلا ما خطر له.

أما ما نادى به من إلغاء المثنى والتوحيد الجنسي للعدد،فباطل لأن الإلغاء يعني مسخ صورة العربية،كذا الاشتقاق الذي هو تيسير في حد ذاته ولو كان الشوباشي يفقه معناه وميزته لمَا طالب بايجاد حلا له.

أما المترادفات من الألفاظ فيعلم يقينا أن استعمالها نادر فلا استعمال ل(١٦٠) اسم للجمل،فأكثر هذه المترادفات محفوظة في أمهات الكتب وتعد من التراث اللغوي.

وأخير الدعوة بايجاد لغة تقريبية بين الفصحى والعامية لا تختلف عن الدعوة إلى العامية.وبغض النظر عن ركاكة الاسلوب وهشاشة الألفاظ والمعاني واستخدام الألفاظ العامية مع كثرة الأخطاء النحوية واللغوية في كتاب الشوباشي نجده دعوة تيسيريه إلى العامية،لأن هذه اللغة التقريبية التي دعا إليها الشوباشي لابد من أن تتغير بفعل الزمن وتغير متطلبات الحياة وبالتالي سيخرج من ينادي بلغة جديدة تقرب التقريبية.حتى تكون لغتنا الجميلة طلاسم مسمارية تحتاج إلى ترجمة.فدع ياشريف الشوباشي لغتنا بسلام وترك كما قيل في المثل(الخبز لخبازه).

ولم يكن الشوباشي أول الدعاة إلى العامية بل واجهة لغتنا الجميلة سيلا من المحاولات المريضة التي حاولت فاشلة تغيير ملامحها وتشويه صورتها وطمس معالمها بحجة أنها صعبة المنال على الأفهام فنجد أصحاب هذه الدعوات يتطاولون بألسنة حداد على علمائنا القدماء الأفذاذ، فينالون من فكر عالمنا الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدي ويتطاولون على كتاب سيبويه ويزلون أقلامهم باللفظ المعيب على أسلاف قضوا أعمارهم في سبيل العلم حتى أصبحوا شموسا سرمدية تضيء في سماء العلم، وسيبويه هذا العلم الجليل هو أبو بشر عمر بن عثمان بن قمبر مولى بن الحارث بن كعب وقيل: مولى الربيع بن زياد الحارث البصري، وقد اشتهر بلقب (سيبويه)، وقد نبغ في العربية حتى صار يضرب به المثل في الفصاحة ومعرفة الأصول والقواعد اللغوية والنحوية ولذلك لقب بحجة النحويين.

وسيبويه فارسي الأصل، ولد فى بلاد فارس عام (١٤٠هـ / ٧٥٦ م) على أرجح الأقوال في مدينة البيضاء ببلاد فارس، وهي أكبر مدينة في إصطخر،و مع امتداد الدولة العباسية وتوسعها جاء سيبويه من مدينة البيضاء ببلاد فارس إلى البصرة في العراق،وهو غلام صغير؛ لينشأ بها قريبًا من مراكز السلطة والعلم، وذلك بعد أن سمحت الدولة العباسية للفرس والأعاجم بتولوا أرفع المناصب وأعلاها، ويرى بعض الباحثين أن سيبويه وفد إلى البصرة بعد سن الرابعة عشرة، وهذا الرأي هو ما يرجحه الكثيرون وذلك لأن الناظر والمتفحص في كتاب سيبويه يوقن أن صاحبه كان على دراية كبيرة باللغة الفارسية وكأنها لغته الأم عندما قدم سيبويه إلى البصرة التي كانت حاضرة العلم والثقافة والأدب وكانت تعج بكبار الأئمة والعلماء والفقهاء أخذ ينهل من مناهل العلم والأدب والحديث، وقد كان سيبويه وقتها ما زال فتى يافعاً يدرج مع أقرانه إلى مجالس العلماء والمحدثين فيتلقى في ربوع البصرة الفقه والحديث، وكان شابا نظيفا جميلا، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب من كل أدب بسهم، مع حداثة سنه وبراعته في النحو، وقد تتلمذ على أشياخ كبار عظماء ووعب من أنهار علمهم ومن هؤلاء:

١- الشيخ الجليل الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العربية وباني علم العروض وصاحب كتاب العين،والحقيقة أن كتاب سيبويه هو علم الخليل ويونس.

٢- أبو الخطاب الأخفش، (أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد)، وهو الذي ذكره (سيبويه) في كتابه.

٣- العلامة عيسى بن عمرو

٤- أبو زيد النحوي
٥- كما أخذ سيبويه العلم عن يونس بن حبيب

ولو تتبعنا آراء العلماء في الكتاب لوجدنا أن الكتاب هو مرآة لأذهان علماء العربية، فعجبا لشريف الشوباشي كيف يريد أن يسقط كل هؤلاء من مسرح العربية فيعتمر جادتها معتمدا بعد ذلك على لغة معلولة عليلة لاشفاء لها وفيريد منا أن نستبدل العامية بلغتنا الجميلة فنكون كبني اسرائيل اللذين استبدلوا الأدنى بالذي هو خير، فنضرب صفحا عن الشهد والماء الزلال بماء آسن يمجه الأنف قبل الفم

ب/ ظهرت دعوات نادت بضرورة تعلم عدد من اللغات

فالعصر وما يحتوي من ثورة معلوماتية وانجازات حضارية لا ينفع معها إعداد متكلم عربي أحادي اللغة، بل لابد أن تنصرف جهود المؤسسات العلمية والتعليمية إلى نشر معرفة لسانية متعددة تعبر عن الاختلاف اللساني المعيش. والربط بين الغرض التبليغي للغات والبعد التداولي لها فتتحول اللغة العربية بجهود العاملين إلى وسيلة نقل معرفي في إطار حركة الترجمة الآلية العالمية،وترقية الكفاية اللسانية بالقدر الذي يؤهلها إلى أن تكون قادرة على الإنتاج والإبداع٢٠،وسيكون هذا الضمان الوحيد لاستمراريتها في العالم الحديث كلغة حية تجمع بين الوظيفتين التواصلية -وهذا أمر تشاركه فيها جميع اللغات -والوظيفة الحضارية كوعاء لإنتاج الثقافة والمعرفة واستقبالهما في إطار حوار الأنا مع الآخر،ذلك أن العولمة في رأي بعض المفكرين ليست قسرا على الأمريكان واللغة الإنجليزية فقط،فإذا كان للغات الأخرى حضور فعلي فالعولمة وقائع وانجازات وإمكانات موضوعة برسم البشر أجمعين ٢١،وأهم ما يميّزها كونها عملية مستمرة من التغيير الحيوي في مجالات عديدة ٢٢،وهذا التصور يقود إلى إمكان الحديث عن شراكة لسانية بعيدا عن روح الهيمنة و الاحتواء التي تمارسها العولمة الجديدة المكرسة لسياسة التحويل القسري للألسن نحو لسان واحد ورفضا لمبدأ التنوع اللساني في العالم، وسعيا حثيثا نحو تنميط الفكر الإنساني ليقبع خالدا في سجن العبودية الأمريكية والمركزية الغربية،وربما هذا ما قصده رئيس جمهورية فرنسا في خطاب ألقاه يوم ١٤ يوليو ١٩٩٨ دعا فيه إلى ضرورة انفتاح المؤسسات التعليمية على التعدد اللغوي بما يضمنه من تنوع ثقافي يمكن أن يكون ضمانا مهما للتصدي لمخاطر العولمة الثقافية،وفي هذا الإطار سخرت الحكومة الفرنسية إمكانيات هائلة لتحقيق نجاعة تعليم ونشر الفرنسية برعاية الأكاديمية الفرنسية واللجنة العليا لحماية الفرنسية ٢٣،كما دعا الاتحاد الأوربي إلى العناية بتعليم اللغات بشكل جدي،متخذا سنة ٢٠٠١ سنة للّغات في كامل أوربا تكريسا للغاية نفسها ٢٤، بل ضمنت السياسة الأمريكية العناية بالتعليم متعدد اللغات في قانون ١٩٦٨ على الرغم من التكلفة الباهظة له،٢٥وفي ظل مد العولمة أضحت العربية المستهدف الأول في هذه الهجمة بخاصة وأنّ دعاة العولمة الأمريكية لاينفكون يقرنون الإرهاب بالثقافة الإسلامية التي تمثل العربية وعاءها، والتعريب وسيلتها الأساسة٢٦.

ج/ ومن التحديات التي تواجها لغتنا هو تحييد العربية عن أداء دورها التواصلي في التنمية ومعادلات الأرقام في عالم المال والأعمال

وهذا ظاهر من واقع الترجمة والتعريب في الاقتصاديات العربية جملة،وهذا ما أسس لذهنية سلبية ترى في العربية مجرد واقع اجتماعي قائم لامناص منه،بل نذهب بعيدا إلى حد عدّها ميراثا تركه الآباء والأجداد لا يمكن أن يمثل عالم اليوم بإنجازاته وابتكاراته وتجاوزا لكثير من التناقضات في إطار ترقية التعليم اللغوي لابد من استثمار مناهج وطرائق التدريس الحديثة في اللسانيات التطبيقية في تعليم العربية لأنّ هذه الطرائق تأخذ بعين العناية الاختلافات الجوهرية بين المتعلمين ورغباتهم وميولهم وكفاءاتهم ومهاراتهم وثقافاتهم، ٢٧،بالإضافة إلى ضرورة الإفادة من اللسانيات للإجابة عن كثير من الأسئلة المتعلقة بخصائص النظام اللغوي وإمكان تداخله مع آخر ٢٨ وكيفية الاستفادة من هذا التداخل وتوجيهه وجهة الشراكة لا التناقض في عملية تعليم اللغة العربية واللغات الأجنبية ٢٩ في الآن نفسه، ٣٠ ومن الضرورة أن تخلص الرؤية العربية والإسلامية من وهم الصفاء الذي عكر صفو العلاقة مع اللغات الأخرى

د/ المنجزات المعلوماتية والدعوة إلى العامية

نعلم يقينا أن العصر يشهد ثورة

معلوماتية في مختلف العلوم الانسانية والعلمية وسيل من المعارف التي لا نهاية لها ويشهد العصر في كل لحظة ولادة الكثير من المصنفات التي تدون الكترونيا ولا ريب أن اللغة هي الأداة الاساس في تناقل هذه المعلومات، فاللغة هي السمة الحضارية لأي شعب من الشعوب وهي مرآة تطورها أو خمولها وتخلفها.

وتواجه اللغة العربية تحديات راهنة ومستقبلية كثيرة لذا لابد لنا من استدعاء الجهود للنهوض بواقعها ومجاوزة أوضاع التهميش والإهمال والركود في معالجة مشكلاتها المتصلة بمخاطر الاستتباع والهيمنة والعولمة، وثمة خطر أشد، ناجم عن الضعف العربي الداخلي في النظر إلى هذه المشكلات لدى الجهات المعنية باللغة العربية ومن وزارات التربية والثقافة والإعلام والتعليم العالي إلى المجامع اللغوية ومؤسسات البحث العلمي والنشر والمعنيين باللغة العربية علماء وأدباء وفنانين وفنيين استسلاماً أمام هذه التحديات ومؤثراتها الأجنبية المتفاقمة. على أن الأمر يتعلق بمسألة حيّة هي أن مواجهة العولمة تعني الإسهام في امتلاك سلطة المعرفة بمفهومها الجديد الذي لا يخرج كثيراً عن أهداف مجتمع المعلومات في إثارته لقضايا حقوق الإنسان وحرية الرأي وإدارة الانترنيت والتنوع الثقافي، وتسميّ بعض الأطراف الأمر الأخير "الاختلاطات الثقافية" عند التذرع بمواجهة العولمة، ويستدعي ذلك، بالنسبة للغة العربية ربط المعلوماتية بالتنمية اللغوية لأن المشكلات اللغوية لا تتصل بالجانب اللغوي وحده، فثمة اندماج واسع وعميق للغة في مجتمع المعلومات المستقبلي إذ أردنا المشاركة فيه والانضواء تحت لوائه، وإذا كان مجتمع المعلومات ما يزال في مرحلة الطفولة كما أشارت القمة العالمية لمجتمع المعلومات (جنيف ١٧ كانون الأول ٢٠٠٣)، فإن الإسهام في إنتاج المعلومات هو المنطلق الرئيس لمواجهة التحديات الراهنة والمستقبلية، وتستند هذه المواجهة للتنمية اللغوية إلى حلول قومية ووطنية للبنية التحتية للمعلوماتية بجوانبها " الاقتصادية" و"حماية الملكية" و"الأمن الثقافي" والتعليم المتخصص وغير ذلك، وأظهرت القمة المذكورة أن تحدي اللغة وثيق الصلة بتحدي التعليم والتدريب التقني على المعلوماتية ولابد من إدخال اللغة العربية في مجتمع المعلومات المقبل الذي بدأت علاماته وبشائره بالنسبة للكثيرين بالإشراق والفاعلية، ولعل أهم مشكلة مستقبلية بالنسبة للغة العربية وتنميتها هي الإسهام في تقليص الفجوة الرقمية بين المجتمعات العربية ومجتمع المعلومات.

شكلت نظرية المعلوماتية، ولاسيما الحوسبة، تحدياً معرفياً بالنسبة للغة منذ نضج هذه النظرية النسبي في أربعينيات القرن العشرين، ورأى ميلكا افيتش Milka Ivit في كتابه "اتجاهات البحث اللساني" Tends in Linguistics أن هذه النظرية طوّرت الدرس اللغوي المعاصر بتعاضدها مع المناهج المعرفية الحديثة مثل اللسانيات البنيوية "فيما وضحته من أن اللغة نظام يتشكل من وحدات محددة تحديداً دقيقاً، ويرتبط بعضها ببعض بعلاقات متبادلة، وأن هذه الوحدات محدودة من حيث العدد، وليست كبيرة، ولكن توليفاتها تمتد إلى ما لا نهاية. واعتماداً على هذه المقولة نجح علماء الرياضيات في تطبيق منهجهم التحليلي على اللغة"(٢).

ونهض البحث العلمي الذي أفضى إلى حوسبة اللغة على مميزات متعددة لابد من مراعاتها والأخذ بها مثل العلاقة بين المنطوق والمكتوب، والعلاقة بين الصريح والضمني، والعلاقة بين اللغة ومفاتيحها الرمزية والرقمية (شيفراتها) والعلاقة بين قواعد الاستصحاب اللغوي (أصل الوضع أصل القاعدة العدول عن الأصل الرد إلى الأصل..) والعلاقة بين بلاغية اللغة وبلاغتها التي تؤدي إلى تفاقم عمليات التناقل المفتاحي الآلي (الشيفري)، والعلاقة بين اللغة والمفتاحية الآلية (التشفير)، والعلاقة بين الحوسبة والوحدات اللغوية المختلفة (المعجمية الصرفية الصوتية النحوية الدلالية التركيبية) ضمن بُناها الخاصة لدى التوليد والتحويل والتوزيع... إلخ. ويتطلب ذلك الإجابة عن مصاعب جمة هي تحديات في الوقت نفسه فيما يخص الأصول والزوائد من السوابق واللواحق ونحوية الآلة وإجراءاتها التقنية التالية، ناهيك عن مسائل التواصل القائمة على الحلول التقنية للمجاز والاستعارة والرمز والأمثولة والتمثيل الثقافي الذي ينتقل من ثقافة الكلمة إلى ثقافة الصورة، وفي سبيله للتأطير بالثقافة الرقمية.

لقد تنبه اللغويون العرب مبكرين إلى ضرورة العناية باللغة العربية والتنبه للمخاطر المحدقة بها فيما يفرضه العصر من تحديات، فأفتى عدد كبير من كبار الكتاب والأدباء عام ١٩٢٣ بفتاواهم لصون لغتهم وتطورها "إزاء المدنية الغربية الحديثة وما يجدر به أن

يقتبسه منها. إلى غير ذلك من المسائل الخطيرة التي تشغل أذهان المفكرين". ورأى المفكرون العرب مثل إخوانهم من اللغويين أن تحديث اللغة العربية يستدعي استخدام المعاجم والقواميس في شغلها الجديد والمعاصر بالاستفادة من مبتكرات الحضارة وعلومها التي تسير في العالم بخطوات سريعة لا يمكن اللحاق بها، دون جهود مخططة ومبرمجة ومدروسة، وهو أمر لم يعد العرب أنفسهم له، بوصفها مشكلة حضارية في اعتقادهم، وأضاف معن زيادة (لبنان) على سبيل المثال "أن حل المشكلة اللغوية يكون عبر المزيد من التعليم والثقافة وارتفاع مستوى العلم والمعرفة"٣١

ولطالما دعا اللغويون العرب إلى تنمية اللغة العربية في العصر الحديث، ولاسيما تطوير المعاجم العامة والخاصة، فكتب عبد العزيز بنعبد الله (المغرب) أن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي الذي تأسس عام ١٩٦٩ عني ببحوث العلماء والمجامع اللغوية وبنشاط الكتّاب والأدباء والمترجمين وبالتعاون مع شعب التعريب في البلاد العربية وبالعمل بكل الوسائل الممكنة على أن تحتل اللغة العربية مكانتها الطبيعية في الثقافة العربية، وبمتابعة حركة التعريب خارج حدود الوطن العربي، وأورد إنجازات هذا المكتب في تنسيق المصطلحات وتأليف المعاجم العلمية والمعاجم الخاصة بالمصطلحات الحضارية جزءاً من معجم المعاني والمعجم المقارن الهادف إلى تفصيح العامية وإصدار دورية فصلية " اللسان العربي".. إلخ (٥)، على أن هذه الجهود لم تلتفت إلى تأثير نظرية المعلومات على اللغة العربية، بينما تواصل هذا التأثير على اللغة منذ خمسينيات القرن العشرين.

ولعل الاهتمام الأول بحوسبة اللغة هو الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حين خصَّصت إشكالية استعمال اللغة العربية في مجال االحاسوب بدراسة مستفيضة قام بها عدد من المختصين بالمعلوماتية ونلحظ أن دعاة العامية قد طبقوا ابتداء اللغة العامية الرقمية على الحاسبة ولولا جهود الخيرين من المهندسين اللغويين لطمست اللغة العربية بسيل اللغة الرقمية.

الخاتمة اقتراح الحلول لمواجهة التحديات

١- إن القرآن نموذج العربية الراقي يستوعب التعدد اللغوي والخصوصيات الثقافية في ضوء مبدأ العالمية٣٢

٢- الاعتزاز بالفصحى والاعتصام بها في التدوين والإذاعة والنشر، واتخاذها أداة للتفاهم؛ لأنها اللغة الجامعة بين جميع العرب والمسلمين.

٣-التوعية الإعلامية حول مخاطر العامية على وحدة العالم العربي، وعقد الندوات والمؤتمرات حولها، وإشاعة اللغة الفصحى في الفنون المسرحية والتمثيلية في الإذاعة والتلفاز والخطابة المدرسية وتوجيه الأغاني توجيهًا أدبيا رفيعًا

٤- اطلاق دعوة تفصيح العامية من خلال استعمالها في كل الوزارات والمؤسسات الاجتماعية والمؤسسات الاعلامية.٥- القضاء على الامية وتثقيف اللسان العربي من خلال استعمال القرآن الكريم

٦ - زيادة ساعات تعليم اللغة العربية ولاسيما ساعات مادة النحو والصرف وتكريم مدرسي مادة اللغة العربية

٧- الاهتمام بالكتاب العربي

٨- منع استخدام العامية في التدريس

٩- حماية اللغة العربية رسميا وحماية اللغة رسميا وقانونيا وشرعيا فنحن بنا حاجة إلى اصدار قانون رسمي تحمي فيه الدولة اللغة العربية

١- إن مواجهة هذا التحدي يكون بالتّفعيل داخل منظومة العولمة ذاتها دون التخلي عن الخصوصية الحضارية ٣٣بدءًا بإصلاح منظومة التعليم العربي وتعليم اللغات وفي مقدمتها العربية للناطقين بها وكذا للأجانب ثم إنتاج الكتاب العربي لقرائه في لغته وترجمته كمرحلة لاحقة أي البدء ببناء الذات اللغوية محليا وخلق روح الحوار الإيجابي مع اللغات في بيئة اللغة العربية ثم الانفتاح على الغير وفق استيراجيات بناء الذات دون الذوبان في الآخر وذلك وفق منطلقين أساسين أولهما:

٢- أن يندمج التفكير النحوي التراثي في النظرية اللسانية الحديثة فيكون جزاء أساسيا منها ورافدا لا ينضب لمجراها السريع وترسيخ هذا الاساس في الأذهان.

٣- ضرورة الدخول بقوة في الإبداع اللغوي من خلال التأليف أولا ثم الترويج للكتاب في لغة التأليف ثم الترجمة باستحداث وسائل نوعية في الترجمة العربية ونشر

ثقافتها،والترويج لها بوصفها لغة مهمة في التواصل المعلوماتي الحديث لا تقلّ كفاءة عن غيرها من اللغات،وهذا ما يمكن عدّه عن طريق القياس اللغوي عوربة،وفي سبيل ذلك يجب أن تبذل أموال طائلة وبسخاء لإنجاز المشاريع اللسانية التي تجمع الذخيرة اللسانية٣٤ العربية وتطورها وتهذيبها بما يساير التدفق الهائل للمعرفة الإنسانية.٣٥

٤-لابد من الإقرار بأنّ اللغة العربية اليوم تعاني غربة اجتماعية بين الناطقين بها عن قصد وغير قصد،وكان من نتاج هذه الغربة الاجتماعية ظهور غربة ثقافية للذات العربية وأزمة في تفكير الإنسان العربي،وطريقة رؤيته للآخر ٣٦في عالم متداخل من اللغات والإديولوجيات والقيم، وبات من القدر المحتوم أن يعاني الناطقون بهذه اللغة من ويلات التهميش في ركب التقدم العلمي الزاحف ٣٧،ومن هنا يظهر أنه ليس من السهل الدفع بالعربية إلى ساحة مواجهة غير متكافئة مع لغات أخرى تسيطر على حلبة الصراع الثقافي والمعرفي والتكنولوجي لذلك يتحتم على النخب أن تعمل على إيجاد حلول جريئة لبعض المشكلات المبدئية تتعلق ب:

١- الإسراع في ضبط خطة تنموية صارمة مهمتها تنقيح ألفاظ الحضارة والمصطلحات المختلفة وإيجاد آلية إجرائية تعمل على تعميم استعمال هذه الثروة في التعليم والتكوين

٢- إنّ عطاء العربية يكون من خلال كتب المعرفة على اختلاف مصادرها وهذا يقتضي تفعيل الجهود الفردية الإبداعية وتشجيعها جماعيا٣٨.

٣- رفض عد العاميات وسيطا ثقافيا موازيا للغة العربية بالرغم من كونها شقيقا طبيعيا ما يلبث أن يتحول إلى عدو إيديولوجي بكل قيمه السلبية الناسفة٣٩ وكذا اللغات العالمية المستعملة في نفس النطاق الجغرافي،ورفض دعوة جعل المتكلمين يركزون على اللغة العربية الحية ممثلة في العاميات المنتشرة هنا وهناك إلى درجة توظيف هذه الأنظمة في الممارسة الرسمية في الصحافة والكتابة والتدريس بمختلف مستوياته من الإعدادي إلى الجامعي٤٠..

ثبت المصادر

١- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٠، عدد٣،
٢- الاتصال التربوي وتدريس الأدب،دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنساق ميلود حبيبي، المركز الثقافي العربي،ط٠١،الدار البيضاء
٣- أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية عبد الرحمن الحاج صالح،مجلة اللسانيات، عدد٠٤،سنة ١٩٧٤، الجزائر، ص٢٤.
٤- الألسنية علم اللغة الحديث زكريا ميشال
٥- التربية ذلك الكنز المكنون، منظمة اليونسكو،مجلة التربية، الدوحة، قطر، عدد ١٢٠، سنة ١٩٩٧
٦- ترجمة الكتـــاب العربي واقع الحال واستشراف المآل
٧- الثقافة العربية وعصر المعلومات نبيل علي،عالم المعرفة،عدد٢٠٠١،٢٧٦،
٨- حديث النهايات،فتوحات العولمة ومآزق الهوية علي حرب،بيروت،٢٠٠٠،
٩- دراسات في فقه اللغة العربية صبحي الصالح (بيروت / ١٩٧٣)
١٠- دور القران الكريم في تدعيم اللغة العربية في الحضارة الإسلامية
١١- رأي في تعميم استعمال اللغة العربية، صالح بلعيد مجلة التعريب، سوريا،المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، سنة،١٩٩٨،عدد ١٦.بتصرف
١٢- رحلة اللغة والثقافة العربية إلى فرنسا تعليمها في المعاهد العليا والجامعات زكا نجيب،، أعمال ندوة ٦-٨ نوفمبر، الجزائر،٢٠٠٠.
١٣- سعيد السريحي، شجاعة العربية وأوهام النقاء،
١٤- شجاعة العربية سعيد السريحي،٢٠٠٠، الجزائر
١٥- صناعة المصطلح عند الفارابي، نعمان بوقرة، مجلة اللغة العربية ن المجلس الأعلى للّغة العربية، عدد٠٨،سنة ٢٠٠٣
١٦- العرب والعولمة السيد يسن.
١٧- العربية لغة العلوم والتقنية عبد الصبور شاهين (القاهرة / ١٩٨٦) ص٣٧.
١٨- العولمة والعولمة المضادة، عبد السلام المسدي، ط١، القاهرة،٢٠٠٠، .
١٩- العولمة والعولمة المضادة، عبد السلام المسدي.
٢٠- فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية".
٢١- الفصحى في مواجهة التحديات
٢٢- الفصحى والعامية العامية اليافاوية تأملات وتساؤلات ×للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني
٢٣- فقه اللغة، محمد الحمد
٢٤- اللغة العربية أصل اللغات وذاتيتها وتأثيرها عبد العزيز الخياط (عمان /٢٠٠٥)
٢٥- اللغة بين القومية والعالمية إبراهيم أنيس (القاهرة/١٩٧٠)
٢٦- اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، فلوريان كولماس، عدد٢٦٣، سنة ٢٠٠٠،
٢٧- اللغة والاقتصاد، سلسلة عالم المعرفة فلوريان كولماس،، ص١٤٠.
٢٨- اللغة والسلوك ضمن الموسوعة اللغوية إيدجر بولوم،منشورات جامعة الملك سعود.
٢٩- المجلة العربية للتربية، مجلد ٥، عدد٠٢، ١٩٨٥، ندوة بناء المناهج التعليمية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، ١٩٨٥
٣٠- مجلة المقتطف، مصر القاهرة
٣١- المقدمة ابن خلدون (القاهرة/ ١٩٧٥)
٣٢- موجز استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي،المجلة العربية للعلوم،عدد١٥، ١٩٩٠.
٣٣- نحو وعي لغوي مازن المبارك(بيروت /١٩٧٩)

٣٤- نظريات في اللغة أنيس فريحة(بيروت/١٩٨١)
٣٥- هل في استطاعة العولمة أن تهدر الهوية ؟ عبد الهادي التازي مجلة الأكاديمية الملكية، الرباط، ١٩٩٧، عدد العولمة والثقافة
٣٦- الهوية اللغوية ورياح السياسة، أفكار، عبد السلام المسدي مجلة فكرية إلكترونية،afkar@afkaronline.org

الهوامش

١- الفصحى والعامية العامية اليافاوية تأملات وتساؤلات ×للأستاذ الدكتور أحمد صدقي الدجاني٢

(١) ينظر: فقه اللغة، محمد الحمد، صـ ٤٤٥ – ٤٤٩.

(٢) ينظر: الفصحى في مواجهة التحديات٠ص ١١١-١٣٣

(٥) دور القران الكريم في تدعيم اللغة العربية في الحضارة الإسلامية،٢

(٦) أنيس: إبراهيم، اللغة بين القومية والعالمية (القاهرة/١٩٧٠) ص١١.

((٧ شاهين: عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية (القاهرة / ١٩٨٦) ص٣٧.

(٨) الخياط: عبد العزيز، اللغة العربية أصل اللغات وذاتيتها وتأثيرها (عمان /٢٠٠٥) ص ٢٣.

(٩) فريحة: أنيس، نظريات في اللغة (بيروت/١٩٨١) ص ٨٠.

(١٠)ابن خلدون، المقدمة (القاهرة/ ١٩٧٥) ص ٦٣٤.

(١١) الصالح: صبحي، دراسات في فقه اللغة العربية (بيروت / ١٩٧٣) ص ٣٥٦.

(١٢) المبارك: مازن، نحو وعي لغوي (بيروت /١٩٧٩) ص١٣٠.

١٣- ينظر المقتطف .

٢. إيدجر بولوم، اللغة والسلوك ضمن الموسوعة اللغوية،منشورات جامعة الملك سعود، ٣/٤٦٠، من المعلوم أن بنيامين لي وورف صاغ فرضيته حول النسبية اللغوية في مقابل التصور العالمي لما هو مشترك من قواعد لغوية كلية.

٣. يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٠، عدد٣، ص٧٥.

٤. المرجع نفسه، ص٧٦.

٥. المرجع نفسه، ص٨٩.

٦. العولمة أوما يسمى ب:GLOBALISATION في الثقافة الإنجليزية و MONDIALISATION في الثقافة الفرنسية،الشائع كونها رديفا للثقافة الشمولية والنزعة إلى تعميم الظاهرة الخاصة على العالم كله لأغراض محددة سلفا،والدعوة إلى الاقتصاد الحر من خلال هيمنة مطلقة للشركات متعددة الجنسيات التي لا تعترف بالحدود القارية بل تنظر إلى العالم نظرة رقمية بحتة،مختزلة التعددية الثقافية والخصوصيات الحضارية في إيديولوجيا واحدة هي العولمة.

٧. -منظمة اليونسكو، التربية ذلك الكنز المكنون، مجلة التربية، الدوحة، قطر، عدد ١٢٠، سنة ١٩٩٧ص٣٨ بتصرف

٨. -علي حرب، حديث النهايات،فتوحات العولمة ومآزق الهوية،بيروت،٢٠٠٠،

٩. -السيد يسن، العرب والعولمة، ص٢٤.

١٠. -فلوريان كولماس،اللغة والاقتصاد، سلسلة عالم المعرفة، ص١٤٠.

١١. -زكا نجيب، رحلة اللغة والثقافة العربية إلى فرنسا تعليمها في المعاهد العليا والجامعات، أعمال ندوة ٦-٨ نوفمبر، الجزائر،٢٠٠٠، ص٤٧٠ومابعدها.

١٢. -فلوريان كولماس،اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، عدد٢٦٣، سنة ٢٠٠٠، ص ١٣٠.

١٣. -عبد السلام المسدي،العولمة والعولمة المضادة،كتاب سطور، ط١، القاهرة،٢٠٠٠، ص٣٩٣.

١٤. -ميلود حبيبي،الاتصال التربوي وتدريس الأدب،دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنساق، المركز الثقافي العربي،ط٠١ ،الدار البيضاء،ص٧٣

١٥. -لمزيد من التفصيل في أهمية المنهج اللساني في تعليم اللغات بعامة والعربية بخاصة أنظر عبد الرحمن الحاج صالح،أثر اللسانيات في النهوض

بمستوى مدرسي اللغة العربية،مجلة اللسانيات، عدد٠٤ ،سنة ١٩٧٤، الجزائر، ص٢٤.

١٦. -Denis Girard،linguistique applique et didactique des langues، Paris،Armand Colin، ١٩٧٢،p١٩. وفي هذا الإطار يجب التركيز على الدافع البراغماتي في اختيار اللغات التي نعلمها ونتعلمها في سياق تعليم العربية وفق أسس ثلاث هي:

١٧. -عالمية اللغة وعلميتها

١٨. -التأمل الاقتصادي والتكنولوجي والثقافي أنظر تفصيلا صالح بلعيد،رأي في تعميم استعمال اللغة العربية، مجلة التعريب، سوريا،المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، سنة،١٩٩٨،عدد ١٦.بتصرف

١٩. -عبد السلام المسدي، الهوية اللغوية ورياح السياسة، أفكار، مجلة فكرية إلكترونية،afkar@afkaronline.org

٣١ "فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية". ص٣.

٢٠. -سعيد السريحي، شجاعة العربية وأوهام النقاء،ص١٠٦ بتصرف.:ما ينظر مقال علي القاسمي،شروط عالمية اللغة العربية وكيفية توفيرها للغة العربية، الذي لخّص فيه شروط عالمية اللغة،مركزا على الشروط التاريخية والثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، دون التقليل من دور التقدم التكنولوجي والموقع الجغرافي والتوزيع الجغرافي للناطقين باللغة،ص٢٠٠ومابعدها

٢١. -عبد الهادي التازي، هل في استطاعة العولمة أن تهدر الهوية ؟ مجلة الأكاديمية الملكية، الرباط، ١٩٩٧، عدد العولمة والثقافة، ص٦٧ بتصرف.

٢٢. -انظر تصور الذخيرة اللغوية وأهدافه وآلياته فيما وضعه عبد الرحمن الحاج صالح الذي أوصى بضرورة ترشيد العامية بتقريبها إلى العربية عن طريق البحث في أصول الكلمات وإدماج ذلك كله في الذخيرة ونشرها عن طريق وسائل الإعلام والمؤسسات العلمية والتربوية،وكذا بناء المناهج الدراسية الخاصة بتعلم العربية على أسس علمية ولسانية، أنظر مقالته في ندوة بناء المناهج التعليمية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، ١٩٨٥، نشر في المجلة العربية للتربية، مجلد ٥، عدد٠٢، ١٩٨٥،ص١١-٣٠.

٣٥ ترجمة الكتـــاب العربي واقع الحال واستشراف المآل

٢٣. -نعمان بوقرة، صناعة المصطلح عند الفارابي،مجلة اللغة العربية ن المجلس الأعلى للّغة العربية، عدد٠٨،سنة ٢٠٠٣، ص١٧٧.

٢٤. -سعيد السريحي،شجاعة العربية ربية،٦-٨نوفمبر ن٢٠٠٠، الجزائر،١٠٥.

٢٥. -نبيل علي،الثقافة العربية وعصر المعلومات،عالم المعرفة،عدد٢٠٠١،٢٧٦،ص٢٧٠.

٢٦. -عبد السلام المسدي، العولمة والعولمة المضادة، ص٤٠٩.

٢٧. -موجز استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي،المجلة العربية للعلوم،عدد١٥، ١٩٩٠، ص١٦ وما بعدها.